

الحديث في بلاد شنقيط

وروافده

د.الخليل النحوي - (موريتانيا)

بسم الله الرحمن الرحيم

توطئة :

لم يؤثر عن الشناقطة كبير احتفاء بدراسة الحديث وتدريسه، قياسا إلى غيره من المعارف وخصوصا منها الفقه وعلوم الأدب وعلوم اللغة، فيبدو أن المذهب المالكي صادف عند القوم قلبا فارغا فتمكن. وتنامى على مر القرون نزوع الشناقطة، في قاسميتهم وخلييتهم، إلى الوقوف عند الفروع والتشبث بالتقليد. وبرز من كبار العلماء في تلك الأصقاع من صدع بأنه لا يجوز للمتأخرين من أهل البلاد استنباط الأحكام من مصادرها الأصلية (الكتاب والسنة) فقد كفاهم المتقدمون مؤونة ذلك، وكانوا به أعرف وعليه أقدر. وليس في المتأخرين من يستطيع أن يجاريهم. وكان مما يتمثلون به في هذا الشأن قول سفيان بن عيينة : ((الحديث مضلة لغير الفقهاء)) تحذيرا من النظر فيه والجرأة على تفسيره واستنباط الأحكام منه. ولم يجدوا حرجا في ترديد قولة الناصر اللقاني ((نحن خليليون إن ضل ضللنا)). وهكذا نجد القوم بمنطق من هذا القبيل قد أحكموا إغلاق باب الاجتهاد، فصرفوا سواد الناس إلى متون الفروع

يطلبون فيها العلم الذي يرون أنّ الفقهاء قد غرّبوه ونخلّوه ويلزمون المتأخرين تقليد المتقدمين واتباع مذهب مالك دون غيره.

وفي ذلك يقول العلامة محمّد بن أحمد فال التّدغي :

وأهل مغرب عليهم يمنع غير الإمام مالك أن يتبعوا
لفقد غيره وكل خارج عن نهجه فهو من الخوارج

ويقول النابغة الغلاوي :

والاجتهاد في بلاد المغرب طارت به في الجو عنقا مغرب

وتتسع المساحة عند محمد حبيب الله بن ما يابي فيصرح بمنع استتباط الأحكام من الحديث على المتأخرين عموماً :

وحيثما يكون الاستتباط للحكم فالمنع به يناط
لأن ذا وظيفة المجتهد والآن يفقد بكل بلد

ويذهب ابن بونه إلى نحو ذلك :

وعالم الوقت إذا هو استبدل بالذكر والحديث ضل وأضل

وإليه أيضا يذهب سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم :

من لم يكن مجتهدا فالعمل منه بمعنى النص مما يخطئ

كان لتلك الرقابة الفقهيّة الصارمة دور ملحوظ في صرف سواد المشتغلين بالعلم عن الاهتمام بدراسة الحديث وروايته والتبحر فيه، فظلت نسبة المشتغلين بالحديث أقل من نسبة المشتغلين بسائر العلوم على حد قول المختار بن حامد، خاصة والقوم ((يتخرجون من التفهم في الحديث

وفي القرآن هربا من القول فيهما بالرأي لاسيما الذين يعتقدون تحريم الاستنباط منهما على غير المجتهد المطلق. وهو في اعتقادهم معدوم⁽¹⁾.

على أن من علماء البلاد من شق عليهم عدم اعتناء أهلها بالحديث، فالعلامة سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم - وإن قال بمنع الاستنباط من الحديث على غير المجتهد - يدعو الناس إلى العناية بعلم الحديث ملاحظا أنه ((في هذه البلاد كالكبريت الأحمر أقوى منه كل بلد وأقفر))، لذلك رغب في نشره بعد طبعه، فقال في مقدمة نظم له :

وبعد فالله يعين من نوى نشرا لما في وقته قد انطوى

لا سيما إن كان ذا علم الأثر إذ دونه يقصر في الفقه النظر

ويشكو أحمد بن دهاه من ((عدم مبالاة جل أهل هذا الزمن بهذا الفن بل وجميع ما يتعلق بالحديث))، وهي شكوى عقدها في بعض منظوماته :

وذاك علم صار في ذا المغرب منشده منشده عنقا مغرب

فليبك سنة النبي العاقب وليندبنها كل ندب نادب

وقال في منظومة أخرى :

واعتيض من مسندها المسلسل وعذب وردها الروي السلسل

آراء قوم ضاع منها السند قلد في الدين بها المقلد

(1) حياة موريتانيا / ج 2 (الحياة الثقافية) - الدار العربية للكتاب 1990 - ص 37.

ونراه يفرد مقطوعات شعرية للوقوف على أطلال الحديث والبكاء بها :

قف بربع الحديث وابك الرسوما واسقه بالدموع غيثا جموما
(لا ترمني إلى سواه نديما لست إلا على الحديث نديما)

أرى ربع الحديث له دثور	عفت آثار ساكنه الدبور
وأربع سنة الهادي يبابا	بلاقع لا يشير لها مشير
فلا حر يثير بها دموعا	على الخدين واكفها درور
ولم تذكر محاسنها اللواتي	كعقد الدر زين به النحور
ورب مخدرات من حلاها	أزيلت عن محاسنها الستور
فلا حام يسان به حماها	عن أيدي الجاهلين ولا غيور

ونجد مثل تلك الشكوى عند محمد بن الداه العلوي في مقدمة نظم له :

أقول ذا وقد غدا علم الأثر تتكر الإعلام منه واندثر
أقوى خلاف أهله حتى غدا تحكي رسومه رسوم تهمدنا

ومن قبله توجع محمدي (شهر : بدّي) بن سيدنا العلوي لحال أهل عصره (من أهل بلده)، فقد غدا ((طالب الحديث اليوم - والعياذ بالله - ليس من طلبة العلم عند عامة أهل هذا العصر، وكذلك طالب القرآن رواية ودراية. وليس طالب العلم عندهم إلا مدرّس مختصر خليل

والعاكف عليه، فترى أحدهم ينشأ في طلبه ولا يزال كذلك إلى ما لا نهاية، وهو لم ينظر في مختصر من مختصرات مذهب غيره. فضلا عما سواها من الكتب المشحونة بفقهاء الحال مثل كتب الحديث...⁽¹⁾

وأكد أن هؤلاء العلماء ما كانوا سيكون رسوم الحديث الدائرة ليسجلوا الواقع فحسب، وإنما كانوا يسعون لتغيير هذا الواقع وإن في حدود.

بذلك نستشف منذ البدء أن مساحة المدرسة الفقهية الفروعية كانت - وان اتسعت وامتدت - ذات حدود، ندرك أن علم الحديث في تلك البلاد لم يكن ((عقفا مغرب)) ولم تندثر رسومه أيضا إلا في حدود.

على أن بيان ذلك يقتضي منا أن نزن عناية القوم بالحديث من خلال النظرات التالية :

1- في مدارس الفقه والسنة

2- في الأسانيد

3- في الدروس والمجالس

4- في الروافد

5- في مصنفات الشنقطة

وحتى ننزل هذه النظرات في إطارها سنلتمس في المحطة الرابعة معالم الروافد الأساسية التي غدت المدرسة الحديثية في بلاد شنقيط، واقفين بوجه خاص عند الرافد القيرواني الإفريقي.

(1) انظر لهذا الاستشهاد ولبعض ما سبقه ولمعلومات إضافية :

الحديث وعلماءه في بلاد شنقيط لمحمد الحافظ بن المجتبى (رسالة جامعية مرقونة).

أولاً- في مدارس الفقه والسنة

دخل المذهب المالكي إفريقية وبلاد المغرب والأندلس منذ أيام الإمام مالك بن أنس، فقد أخذ عنه علماء منهم جماعة من أهل إفريقية بالخصوص.

ونجد بين رواة الموطأ الذين تلقوه مباشرة من الإمام مالك سبعة من أهل إفريقية هم : أسد بن الفرات القروي وخلف بن جرير بن فضالة القروي وعلي بن زياد التونسي وعبد العزيز بن يحيى وعبد الله بن عمر بن غانم الرعيني القيرواني ومحمد بن معاوية الطرابلسي.

وكان للدول التي قامت في المنطقة أثرها في التمهيد لانتشار المذهب، ففي عهد الحكم بن هشام ثالث الخلفاء الأمويين بالأندلس انتقلت الفتوى إلى مذهب الإمام مالك.

وكان الشريف إدريس بن عبد الله بن إدريس مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب يكن حبا خاصا للإمام مالك تقديرا لموقفه في مناصرة محمد النفس الزكية ومعارضته في شأنه للمنصور العباسي معارضة لقي فيها عنقا معلوما، فكان إدريس - وقد حمل معه موطأ الإمام مالك إلى المغرب - نحن أحق باتباع مذهب مالك وقراءة كتابه. وهي كلمة تذكر بكلمة مالك في شأن عبد الرحمن الداخل : ليت الله زين حرمنا بمثله. وكتلتهما تكشفان عن ود متبادل هيا لمذهب عالم المدينة أسباب الانتشار في أصقاع الغرب الإسلامي.

ومع ذلك لم يستطع المذهب المالكي أن يسود كلياً وفوريا في المنطقة، فقد ظل أهل الأندلس متشبهين حيناً من الوقت بمذهب الأوزاعي وأهل الشام، وانتقل بعضهم وبعض أهل المغرب إلى المذهب الظاهري

مع ظهور ابن حزم، وعرفت إفريقية وبلاد المغرب مذاهب خارجية ونحلا أخرى، قبل أن يظهر المذهب الشيعي في إفريقية، التي عرفت أيضا المذهب الحنفي ولم تخل من أثر للمذهب الشافعي.

وتكمن فرادة بلاد شنقيط في أنها لم تعرف - فيما يؤثر - إلا المذهب المالكي الذي ساد وانتشر وتوطدت أركانه في ظل دولة المرابطين. وكان للمرابطين - وهم ينفرون من ربوعهم بصحراء الملتئمين متجهين شمالا وجنوبا وشرقا - دور مشهود في توحيد بلاد المغرب والأندلس وبلاد السودان، وجمعها على مذهب الإمام مالك.

وقد ظل الشناقطة على مر العصور أوفياء لهذا المذهب الذي عرفوه حيناً من خلال المدونة، ثم من خلال رسالة ابن أبي زيد ثم من خلال مختصر خليل الذي اجتالهم عما سواه أو كاد.

وقد رأينا كيف سد علماؤهم باب الاجتهاد ورأوا ألا خيار غير التمهذب بمذهب مالك وتقليد ابن القاسم خاصة. وكان قصارى نظرهم في الاجتهاد أن يتأهل أفراد أفذاذ لاجتهاد الترجيح داخل المذهب. ونبت أدواقهم عن النظر في كتب المتأخرين، حتى إن أحد علمائهم (القاضي محمدين بن محمد فال بن أحمد فال) نظم الكتب المعتمدة في المذهب فارتفع بها إلى نحو المائة لكنه استبعد منها جميع كتب أهل الألف الهجرية الثانية إلا قليلا كحاشية الرهوني.

بل إن القاضي محمد عبد الرحمن بن السالك - وقد شرح النظم المذكور - صرح بأنه في غنى عن الاعتماد على خليل، لأن لديه المصادر المتقدمة التي استند إليها خليل في تأليفه.

وهكذا أكب القوم على دراسة فروع الفقه والنظر فيها والتأليف، فكان للفقه في حصص الدراسة وفي نتاج المؤلفين النصيب الأوفر إذا ما

قيس بسائر العلوم الأخرى. وكان لقب الفقه خير حلية يتحلى بها العالم حتى انتشرت انتشارا كبيرا في أسماء الأعلام محرفة بلهجة صنهاجية (الفغ) أحيانا.

وقد برز الاهتمام بالعودة إلى الحديث في نزوع طائفة من الفقهاء إلى النظر في مدارك خليل وأدلته، والتخريج والترجيح بين أقوال علماء المذهب والميل للعمل بما صح في السنة وإن خالف ((مشهور المذهب)).

فبينما كان الرأي السائد هو أنه لا ينبغي الاستدلال في الفتاوى والأقضية بنصوص القرآن والحديث، اكتفاء بنقول العلماء الشناقطة بتخريج أدلة المذهب من الكتاب والسنة، وبنقد مختصر خليل، فكان من المتقدمين سننير بن القاضي سيدي الوافي الأرواني (ت. 1180هـ) الذي ألف ((فتح الرب اللطيف في تخريج بعض ما في المختصر من الضعيف)).⁽¹⁾ وكان ابن عبد الله بن أحمد بن اند عبد الله بن الشيخ الولاتي (ت 1182هـ) ((عارفا بأصول الفقه يميل في فتواه إلى القواعد والأصول قل أن ترى له في الفتوى نقلا من الفروع)).⁽²⁾ وكان أحمد بن العاقل (ت 1244 هـ) ((لا يذكر في النازلة فرعا إلا أتى بأصله معه. وإذا كان يقرئ الفروع فربما يخرج إلى الأصول)).⁽³⁾ ووضع عبد الله

(1) الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي/فتح الشكور في معرفة أعيان علماء التكرور / تحقيق إبراهيم الكتاني ومحمد حجي - دار الغرب الإسلامي 1981 - ص 103.

(2) م ن، ص 167، وقد نظم هذا الكتاب القاضي محمد سيدنا بن برو السمسدي. واستترك عليه محمد عبد الله بن الطالب عبد الله بن محمد بن اندوضة المجوبي الولاتي المتوفي 1220هـ بكتابة التوفير لما أهمل القاضي سننير(ابن حامد/حياة موريتانيا، م س، ص 12).

(3) م ن ص 62.

بن الطالب أحمد بن الحاج المصطفى الغلاوي (ت 1209 هـ) كتابا اختصر فيه مختصر خليل مقتصرًا على ما تدعو إليه الحاجة في البلاد، مرجحا تصويبات بعض الشراح على نص خليل. (1)

ومن المعاصرين أحمد بن المختار الشنقيطي الذي ألف كتاب مواهب الجليل في أدلة خليل (أربعة مجلدات).

وقد اهتمت الفروعية الفقهية الجامدة مع دعوة الشيخ محمد المامي (ت 1292 هـ) إلى اجتهد التخرج لمواجهة النوازل والمعضلات المستجدة، وسعيه في كتابه ((كتاب البادية)) إلى تطويع الفقه المالكي الذي نشأ فقها حضريا لظروف الحياة البدوية الغالبة على أهل شنقيط. وهو منهج اتبعه على نحو ما محمد مولود بن أحمد فال، وخاصة في منظومته الفقهية ((كفاف المبتدي)). وكان ممن جنحوا إلى ضرب من الاجتهاد دعوا فيه إلى تقديم السنة الصحيحة على المذهب :

1- الشيخ سيدي المختار الكنتي (ت 1226 هـ) وهو عالم صوفي جليل دعا إلى دراسة الكتاب والسنة لمعرفة أدلة الفروع. وقال في ذلك: ((من لم يثبت على دعيمة أصل تلاعبت به أقوال المذاهب)). وأنشأ يدافع عن موقفه شعرا :

وياك ترضى باقتناص فروعها	بغير ارتشاف من مناهلها العذب
فإنّ الأصول كالقواعد تقتضى	طمأنينة للقلب والنجاح بالإرب
فمن لم يقيد بالكتاب علومه	طغى وبغى واستبدل البسر بالرطب
ولا تعتقد أن الحديث بيانه	وتفسيره شأن الأئمة لا الشعب
...ولكن تفقه وانتق الحق مذهباً	وميّزه بالذكر الحكيم ولا تؤب

(1) م ن ص 171.

إلى غير تحقيق من القول واضح تداوله التحقيق والسلف النجب
وثق بكتاب الله والسنة التي أتت عن رسول الله والعكس فاجتنب
ودع عنك آراء الرجال وقولهم لقول رسول الله فهو الذي يطب
وقد انتهى إلى الشيخ الكنتي بيتان قالهما أحد الفروعيين :

قبضت على ديني بنص خليل وان لأمني في ذاك كل خليل
وان سألوني عن دليلي وحجتي أقول : خليل حجتي ودليلي
فعلق الشيخ سيدي المختار قائلا :

قبضت على ديني بهدي رسولي وتلك لعمري حجتي ودليلي
تمسكت بالأصلين آيا وسنة فلم أك أصغي فيهما لعذول
على أنني والحمد لله لم أكن لأترك بين الناس نص خليل
فما هو إلا جامع المذهب الذي نماه إلى الأصلين كل نبيل⁽¹⁾

وهكذا وصل الشيخ إلى موقف توفيقى لا يحجب دعوته الجليلة
للرجوع إلى الأصول.

2- بابا بن الشيخ سيديا الأبييري (ت 1342 هـ) كان من دعاة
العمل بالكتاب والسنة. وقد خالف خليلا في أمور، ودعا إلى التبصر في
الأحكام والاقتصاد في تقليد، وألف في هذا الصدد كتابه : "إرشاد المقلدين
عند اختلاف المجتهدين". وأيد فيه الرجوع إلى الكتاب والسنة فيما اختلف
فيه الأمة.⁽²⁾ وقد عده بعض معاصريه مجددا. وتبعه في منهجه محمد بن

(1) محمد الحافظ بن المجتبى، م س - ص 51

(2) م ن - ص 56، 57.

أبي مدين (ت 1396 هـ) مؤلف ((الصوارم والأسنة في الذب عن أهل السنة)). وكان ممن دافع عن الشيخ بابا معاصره العلامة محمد فال بن بابا العلوي الذي قال فيه :

على الشيخ قد عاب الغبي لجهله	تتبع أقوال النبي وفعله
وما في كتاب الله بالنص محكما	وما صح من تقرير خاتم رسله
وما قال جمهور الأئمة تابعاً	لما صح من معنى الدليل ونقله
ومن كان شأواً فوق باعك فتره	ويغمر وبلا منك هاطل طله
إذا قال قولاً كان شأوك قاصراً	عن إدراكه فادر السبيل وخله

ويمضي العلامة أباه مدافعا عن الكتاب والسنة :

وإن هدى الله العظيم هو الهدى	ولم يضلل المستمسكون بحبله
فما جاء من بعد النبي بناسخ	سوى سوء فهم المذهبي وجهله
لأصل حديث الهاشمي قطعتم	وقد أمر الله العظيم بوصله
إذا انحرف الوالي عن الرشد والهدى	فذاك قضى الدين الحنيف بعزله
بدولة حكم الجهل يذعن عالم	لمن يدعي علما وليس من أهله !
وقوله سفيان : الحديث مضلّة	لغير فقيه الاجتهاد من أهله
مقالة حق، وهي في حق قاصر	يحل صريح اللفظ غير محله
ولم يدر ما منسوخة وضعيفة	ويخطئ في وضع الحديث وحمله
ولست بنا في الفرع أصلاً وإنما	أمرت بأخذ الفرع وصلاً بأصله (1)

(1) م ن - ص 57، 58.

3- وهناك علماء آخرون لم ينبذوا الفروع لكن عز عليهم عدم النظر في الأدلة، وعدم ترجيح النص الثابت على مشهور المذهب، ولم يجدوا غضاضة في ذم التقليد الآسر.

وقد مرّ بنا شكوى محمدي (بدي) بن سيدنا (ت 1264 هـ) إهمال أهل عصره لدراسة الحديث. ونجده يندب في بعض كتبه حال أهل زمانه الذين صار حظهم ((من العلم محض التقليد المذموم))، ويستشهد على ذم التقليد بقول زروق في قواعده : ((إذا حقق أصل العلم وعرفت موارده وجرت فروعه ولاحت أصوله كان الفهم فيه مبذولا بين أهله، فليس المتقدم بأولى من المتأخر وإن كان له فضيلة السبق، فالعلم حاكم ونظر المتأخر أتم لأنه زائد والفتح من الله مأمول لكل واحد)) ويمضي بدي مستطردا ما نقله زروق قائلا : ((والله در ابن مالك رحمه الله حيث يقول : وإذا كانت العلوم منحا إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد أن يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من المتقدمين، نعوذ بالله من حسد يسد باب الإنصاف ويصد عن جميل الأوصاف))⁽¹⁾.

ولعلّ بدي بكلامه هذا - وإن لم يخض في الخلافات - كان أقرب إلى طائفة من العلماء رفعت عقيرتها بنذ المذاهب والعودة إلى الأصلين وفتح باب الاجتهاد للمتأخرين. وكان من أبرز هؤلاء :

- محمذن (المشهور بـ : لمجيدري) بن حبيب الله اليعقوبي (ت 1212 هـ) وهو عالم جليل سافر للحج، وأقام بمصر بعض الوقت، وذكر أنه ناظر بها العلماء مناظرة شبيهة بمناظرة البخاري وعلماء بغداد.

(1) م ن - ص 53 وانتظر القاعدة 37 في قواعد التصوف لأحمد زروق/ تحقيق عثمان الحويدي - تونس 1987.

وقد أقام حيناً من الوقت بالمغرب وأخذ عن علمائه وأخذوا عنه. وعاد من رحلته تلك داعياً للأخذ بالكتاب والسنة ونبذ ما سواهما مما دعا بعض الباحثين إلى ترجيح كونه عاد متأثراً بمدرسة محمد بن عبد الوهاب التي كانت حديث الناس في الجزيرة أيامذاك. لكننا نستبعد أن يكون لهذه المدرسة عميق أثر في فكر العلامة الشنقيطي، خاصة وقد عاد من رحلته متشعباً بالتصوف الطرقي. وقد تحدث عنه النبهاني في كرامات الأولياء، وذكر ابن الأمين أنه يكفيه فخراً أنه شيخ سيدي أحمد بن إدريس الفاسي الذي تنتشر طريقته اليوم في بلاد المغرب واليمن وغيرها.

وأياً يكن الأمر فإن لمجيدري قد جاهر بدعوة أثار بها جدلاً حاداً في الأوساط العلمية الشنقيطية، إذ نادي بهدم الأسس المذهبية والعقدية السائدة، نابذا العقيدة الأشعرية والمنطق الأرسطي والفروعية القاسمية.

وكان من أكبر خصومه في ذلك السجال شيخه المختار بن بونه الجكني (ت 1220هـ) الذي اتهم تلميذه بالابتداع في الدين. فرد المجيدري التهمة قائلاً :

لو كنت بدعياً لما كان الصواب عندي الأحاديث الصحاح والكتاب.

وقد جادله جمع من العلماء فأكثرُوا جداله، لكنهم لم يحلوا عقدة عزمه.

وكان مما حاجهم به رسالة وجه إليهم فيها الأسئلة التالية :

((الأول : مامعنى نسبة ما اخترع الأربعة المشار إلى اختراعهم بصيغة الفعل، وتردد المتأخرين لعدم نص المتقدمين، واختلاف شراح المدونة في فهم ألفاظها وما استظهره أهل الاستحسان، ما وجه نسبة هذه الأقوال إلى مالك وجعلها مذهباً له وبينه وبين قائلها مائتاً سنة، ومذهب

الإنسان ما صرح به ولم يرجع عنه إلى أن مات، لا ما قاله من ولد بعده بمائتي سنة.

الثاني : ما الفرق بين ابن القاسم والشافعي حتى جعلتم الأول من جملة مذهب مالك، والثاني مذهباً مستقلاً وكلاهما شيخه مالك وكلاهما تابع مالك في مسائل وخالفه في حياته في مسائل.

الثالث : ما وجه تحريم الانتقال من مذهب إلى مذهب بل ما وجه تحريم تقليد الأربعة دفعة واحدة.

الرابع : ما وجه مدحكم للخلاف وقولكم كل مجتهد في الفروع مصيب، ومن قلد عالماً لقي الله سالماً، الاختلاف بين العلماء رحمة، وقد ورد ذمه في القرآن والحديث.

فأما القرآن : فقوله تعالى : (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه) الآية، فجعل سبيله واحداً، وجعل غيره من السبيل يتفرق بمن سلكه عن سبيل الله أي يبعده عن سبيل الله.

وقال تعالى : (واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا) وحبل الله كتابه كما جاء في الحديث، فأمر بالاعتصام به المثمر للاجتماع ونهي عن عدم ذلك المثمر للتفرق. وأشد الآيات تصريحاً لمن كان له قلب قوله تعالى : (ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وألئك لهم عذاب عظيم) ⁽¹⁾

(1) م ن - ص 46. وقد درس أحمد بن السعد الخلاف العقدي بين المجيدي وابن بونه في رسالة جامعية غير منشورة بعنوان :

الصراع الفكري بين الأشعرية والسلفية في بلاد شنقيط (جامعة الزيتونة 1991-1992)

- وممن نبذ التقليد وادعي الاجتهاد ودعا إليه حبيب الله بن الأمين الشقروني (ت نحو 1270 هـ)،⁽¹⁾ ومحمد يحيى بن سليمة الولاتي الداودي (ت 1354 هـ) الذي رفع نفسه إلى مقام الأئمة :

ولست دون مالك والشافعي وأحمد والحنفي والتابع

وطعن في أقوال الفقهاء :

والفقه لا يجوز الاقتداء به بل هو تخمين يرد فانتبه⁽²⁾

وعموماً فإن الدعوة إلى الأخذ بالسنة وتقديم الخبر الصحيح على مشهور المذهب قد لقيت آذاناً صاغية في بلاد شنقيط وما وراءها من بلاد السودان، خصوصاً في العصر الحاضر.

وقد تعززت هذه الدعوة بأصوات علماء أجلاء في البلاد الإفريقية المجاورة، من أبرزهم شيخ الإسلام الحاج إبراهيم نياس الكولخي (ت 1395 هـ) الذي ألف في الدفاع عن القبض والرفع والبسمة⁽³⁾ وتبعه في مذهبه جمٌّ غفير من الموريتانيين.

وكان له وللعلماء آنفي الذكر ولغيرهم أثر في أخذ فئات واسعة من أهل البلاد بأمور مرجوحة في مآثور ابن القاسم مثل القبض والرفع والبسمة في الفرض (جهراً في الجهرية) وتأمين الإمام بعد قراءة الفاتحة

(1) انظر ترجمته في كتاب الوسيط في تراجم أدياء شنقيط لآحمد بن المين الشنقيطي / مكتبة الخانجي - مؤسسة منير - ط4 - القاهرة 1409هـ/1989م - ص336 وما بعدها. وانظر أيضاً : حياة موريتانيا، م س، ص 47.

(2) ابن المجتبي، م س، ص 57.

(3) انظر كتابة : رفع الملام عن رفع وقبض اقتداء بسيد الأئمة - باريس 1969.

جهرًا في الجهرية) والاجتماع لقراءة القرآن والذكر جهرًا وتنشئة الإقامة وعدم وجوب الزكاة على مستغربي الذمة.

ثانيا : في الأسانيد

لعل من حقنا أن نفترض دخول الحديث في البلاد منذ عصور متقدمة، فلم تكن مدارس أو داغست وغانه لتخلو — في نظرنا — من حديث ينشر ويتدارس. ولعل حركة القوافل النشطة بين حواضر بلاد شنقيط وحواضر المغرب وإفريقية والمشرق كانت الرافد الأهم للمدارس الشنقيطية الأولى، بما أتاحت من انتقال العلماء إلى مشارف بلاد التبر.

لكننا نتخلص من الافتراض إذا تقدمنا قليلا نحو حقبة المرابطين (ق 5 هـ)، فلقد عنوا بالعلم عناية خاصة رغم انشغالهم بفتوحاتهم الواسعة التي كونوا بها أكبر دولة إسلامية في بلاد المغرب والسودان والأندلس.

ففي البدء قامت حركتهم على أساس من الرغبة في اكتساب المعرفة. وهي رغبة جعلت الأمير الجدالي الطموح يحيى بن إبراهيم يذعن للفقهاء عبد الله بن ياسين ويدخل معه ذلك الرباط الذي كان مدرسة قبل أن ينطلق منه الفاتحون. وظل الأمراء من بعد يحيى، وخاصة يحيى بن عمر وأبو بكر بن عمر على عهد الطاعة والإذعان للرجل الذي لقب ((مهدي المرابطين)). وكانت رسالته أن يعلم الناس ويرشدهم ويحثهم على الجهاد تاركا الإمارة لصفوة القوم من أهل البلاد.

وقد ورث تلك العناية يوسف بن تاشفين في الجزء الشمالي من الدولة وبنوه من بعده. وروي ((أنه انقطع إلى أمير المسلمين من الجزيرة

من أهل كل علم فحولته حتى شُبّهت حضرة بني العباس (وصدور دولتهم))⁽¹⁾ وقد رأينا المرابطين في الجزء الجنوبي يحرصون على ألا يخلو ((البلاط)) من عالم فأكثر، فبعد استشهاد عبد الله بن ياسين (ت 451 هـ) في حرب برغواطيه استقدم المرابطون أو قدّموا عدداً من العلماء، مثل الشيخ سليمان بن عدي ثم أخيه أبي القاسم والشيخ أبي محمد يرزجان بن محمد الجزولي الضرير. واصطحب الأمير أبو بكر بن عمر معه في عودته إلى الصحراء من أغمات وريكة علماء منهم الإمام الحضرمي وإبراهيم الأموي وعبد الله الزينبي وعبد الرحمن الركاز.

وكان أبو بكر بن العربي من أكابر العلماء في عهد المرابطين، وكان والده صاحب سفارتهم لدى العباسيين، حيث أشاد بذكرهم ونشر مآثرهم وطلب للأمير يوسف عهد توليه من الخليفة العباسي.⁽²⁾

وتشير كتب التراجم إلى أنّ عدداً ذا بال من أعلام لمتونه قد أخذوا عنه، منهم أبو محمد يرزجان الجزولي سالف الذكر⁽³⁾.

وكان من رجال الدولة المرابطية أيضاً القاضي عياض بن موسى اليحصبي السبتي الذي أخذ عنه الشريف عبد المومن والحاج عثمان ودخلا صحراء الملثمين فأسس أولهما مدينة تيشيت وأسس الثاني مدينة وادان في سنة واحدة (536 هـ)⁽⁴⁾.

(1) سلطاني الجبلاي / الحركة الفكرية والثقافية في عصر المرابطين بالمغرب الإسلامي (في : مجلة الحضارة الإسلامية - وهران - السنة الأولى 1414 هـ / 1993م).

(2) انظر كتاب : مع القاضي أبي بكر بن العربي، لسعيد أعراب / دار الغرب الإسلامي - ط 1 1407 هـ / 1987م.

(3) انظر كتاب : دور المرابطين في نشر الإسلام في غرب إفريقيا، لعصمت عبد اللطيف دندش / دار الغرب الإسلامي - ط 1 - 1408 هـ / 1988م.

(4) ابن حامد، م س - ص 9.

ولئن ضننت علينا المصادر الحية بمعلومات كافية عن جل رجال تلك المرحلة من أهل الصحراء، فإن باستطاعتنا أن نفترض أن الآخذين عن أبي بكر بن العربي وعن القاضي عياض - وكلاهما من علماء الحديث - قد ساهموا في نشر الحديث وتثبيته بين أهلهم وذويهم.

ولسنا بحاجة إلى الافتراض فيما يخص بعض الرواد. فقد مكث عبد الله بن ياسين سبعة أعوام في الأندلس للدراسة. وذكر ابن بشكوال أن عالما أخذ عنه الحديث ((مما يدل على أنه (ابن ياسين) كان يدرس الحديث قبل انتقاله إلى الصحراء))، وذكر صاحب الحل الموشيه أن ابن ياسين كان يفسر القرآن ويروي الحديث. (1)

وربما كان اهتمام ابن ياسين بالأصول قد جعله ينزع إلى الاجتهاد فيصادم بعض الفقهاء والأعيان (الجوهر بن سكم وإيار وايتنكو) الذين لم يستسيغوا بعض أحكامه فثاروا عليه، حسب رواية البكري. (2)

وبحسب ابن ياسين أن يكون القاضي عياض قد عني به فوضع عنه كتابا لو تأتى العثور عليه لأمكن استجلاء معالم شخصيته على نحو أفضل.

أما الإمام الحضرمي (أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي) فقد ورد أنه كان ((إماما في أصول الدين))، فوصفه ابن فرحون من ثم بـ((الأصولي)) وقد أخذ في قرطبة عن إمام الأندلس

(1) عصمت دندش، م س - ص 63، 64، 66.

(2) أبو عبيد البكري/المسالك والممالك/ تحقيق ادريان فان ليوفن واندري فيري/ الدار العربية للكتاب - بيت الحكمة/تونس 1992 - ج 2 / ص 859، 860.

وحافظها أبي مروان بن سراج (ت 489 هـ). وكان ممن أخذ عن الحضرمي أبو الحجاج يوسف الكلبي الضرير دفين مراکش الذي يحسب في شيوخ القاضي عياض.

وقد استقر الحضرمي في مدينة أزوكي، حاضرة المرابطين (قرب اطار بموريتانيا) يعلم الناس ويقضي بينهم وبها توفي ودفن عام (489 هـ). وخلف الحضرمي ابنا كان من كبار علماء المسلمين في الكلام وفي الحديث هو أبو الحسن علي بن محمد بن الحسن الحضرمي، وعنه أخذ أبو خالد بن رفاعة وأبو قاسم بن سمحون. وكان الحضرمي الابن قد رحل إلى قرطبة حيث سمع من الحافظ الأندلسي أبي علي الصديقي. (1) وكان الأمير المرابطي ابراهيم بن يوسف يرسل في طلب الشيخ أبي علي الصديقي هذا لسمع عليه الحديث. (2) وقد أخذ عنه أيضا القاضي عياض.

وذكر من علماء الدولة المرابطين المشتغلين بالقرآن والحديث أبو علي المنصور داود بن عمر اللمتوني (ت 549 هـ) وهو "أحد رؤساء لمتونة وأمرائهم، صحب العلماء وناقش أهل عصره في جميع الدواوين والأصول العتيقة". (3)

ولعل من رجال الدولة المرابطية أبا القاسم عبد الرحمن الملقب بالزاهد الذي "دخل الأندلس وسمع الحديث وألبس بها خرقة الصوفية، ثم

(1) انظر كتاب الإمام الحضرمي : السياسة أو الإشارة في تدبير الإمارة بتحقيق د. سامي النشار/ دار الثقافة - ط 1 - الدار البيضاء 1401 هـ/ 1981 م - مقدمة المحقق والملاحق.

(2) عصمت دندش، م س - ص 144.

(3) سلطاني الجيلالي، م س.

خرج من الأندلس وتوجه إلى مراكش ومنها إلى غانة (.....) وهناك انقطع خبره".⁽¹⁾

نستطيع إذن أن نجزم بأن بلاد شنقيط عرفت الحديث والمحدثين منذ عهد المرابطين، لكن من المؤسف ألا يكون باستطاعتنا العثور على أسانيد تصل المتأخرين من رجال الحديث في البلاد بالمتقدمين منهم.

إن أغلب الأعلام المذكورين لا يظهرون في الأسانيد الشنقيطية المحفوظة ولا غرابة في ذلك فهناك برزخ من بضعة قرون درست فيه معالم تاريخ البلاد. فلا تكاد تحدث أخبارها أو تبوح بشيء من أسرارها فيما بين سقوط دولة المرابطين وازدهار تمبكتو وشنقيط وولاته في خواتم الألف الهجرية الأولى.

وإلى ذلك تتضاف ندوة اهتمام الشناقطة برواية الحديث وطلب أسانيده وأجازاته لانشغالهم عنه بالفروع.

وتعود أقدم الأسانيد والإجازات الشنقيطية المحفوظة إلى أواخر القرن التاسع ومطلع القرن العاشر الهجريين.

ونورد هنا أسماء بعض من أبرز حملة إجازات الحديث وحفظه أسانيده في العصور الخالية، من الأعلام المنتمين إلى المجال الشنقيطي :

- أيد أحمد (محمد بن أحمد التازختي) توفي في حدود (936هـ).
قرأ على الحاج أحمد بن عمر (جد أحمد بابا التمبكتي) ولقي المغيلي بتكده وحضر دروسه، وخرج حاجا مع محمود بن عمر أقيت عام (965 هـ)،

(1) ابن رشيد / ملء العيبة بما جمع بطول الغيبة/تحقيق د.محمد الحبيب بلخوجة دار الغرب الإسلامي 1988 /ج3/ ص 416.

فلقي "شيخ الإسلام زكريا والبرهانين والقلقشندي وابن أبي شريف وعبد الحق السنباطي في جماعة فأخذ عنهم علم الحديث وسمع وروى وحصل ودأب حتى تميز(....) وصار في إعداد المحدثين"⁽¹⁾..ولقي اللقائين وغيرهم وأجازهم بعض علماء الحجاز. ترجم له أحمد بابا. ولم يذكر أسانيده بالتفصيل. وأغفل البرتلي الترجمة له، إلا أنه ذكر اندغمحمد بن الفقيه محمد بن أحمد الأثري التازختي في ترجمته لعمر الولي المحجوبي عند ذكر سنده في صحيح البخاري. وبين اندغمحمد والحافظ بن حجر فيه واسطة واحدة : شيخ الإسلام قاضي الجماعة جمال الدين أبو الفتح إبراهيم بن علاء الدين أبو الفضل القرشي الشافعي القلقشندي (كذا بالأصل - والصواب القلقشندي) (ص180). كما أعاد ذكره بتغيير بسيط (أندغمحمد بن الفقيه الأثري محمد بن التازختي) في ترجمته الإمام عمرم، ناقلا إجازة المترجم في موطأ مالك، بسند متصل يمر باندغمحمد مخبرا عن شرف الدين أبي محمد عبد الحق بن محمد السنباطي عن أبي الحسن علي بن الفخر بن عثمان بن محمد البارنباري عن شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي....الخ (ص189). وبين اندغمحمد والسخاوي في هذا السند واسطتان.

ومن المحتمل أن يكون اندغمحمد هذا هو أيد أحمد عينه. ولعله يعرف بالعلمين.. نميل إلى ذلك رغم الإشكال الذي يثيره الاختلاف النسبي في النسبة (أيد أحمد : محمد بن أحمد/ اندغمحمد بن محمد بن أحمد). ويرجح اعتقادنا هذا ما أسلفناه نقلا عن أحمد بابا من اجتماع (أيد أحمد) بكل من القلقشندي والسنباطي وأخذه عنهما الحديث".

(1) أحمد بابا التتكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج/ كلية الدعوة الإسلامية - ط 1 - طرابلس 1989 - ص 587.

- مخلوف بن علي بن صالح البلبالي (توفي بمراكش بعد 940هـ): أخذ في ولاتن (ولاته حالياً) عن عبد الله بن محمد أقيت قبل أن يتوجه إلى المغرب فيأخذ عن ابن غازي. ودخل بلاد السودان، فأقرأ بها. ودخل تمبكتو، قبل أن يعود إلى المغرب "وكان من حفاظ الحديث حتى أنه كان يحفظ صحيح البخاري".⁽¹⁾

- سقّين (عبد الرحمن بن علي العاصي) - (ت 956هـ). "رواية المغرب الأقصى، مفتى فاس وخطيبها ومحدثها" أخذ عن ابن غازي وزروق ورحل إلى المشرق فأخذ عن أعلام أخذوا عن أبي حجر وأقام زماناً طويلاً لأخذ الحديث وسنده وضبط ألفاظه ومشايخ السند حتى حصل له من ذلك علم كثير ورواية واسعة لم تحصل لغيره من علماء فاس.⁽²⁾ نوره بين الأعلام الشناقطة إذ يبدو أنه دخل بلاد شنقيط في رحلته إلى بلاد السودان وسلك في رحلته المشرقية الطريق التي يسلكها التجار من ولاته إلى القاهرة. وربما كان قد دخل الصحراء الشنقيطية بدعوة من بعض زملائه من رجالها الذين أخذوا معه ابن غازي. ويرجح صديقنا الأستاذ محمد شريفة أن يكون ممن شاركه رحلته إلى الحج مخلوف البلبالي ومحمد بن أحمد التازختي ومحمود بن عمر بن محمد أقيت والعاقب الأنصمني" ومن طريق سقّين بوسائط يروي أبو عبد الله محمد الولاتي موثقاً الإمام مالك.

(1) م ن - ص 608 وانظر كذلك : فتح الشكور للبرتلي ن ست ص 146.

وانظر : مساهمة المغاربة في تأسيس الحركة العلمية في شمال نيجيريا خلال القرنين الخامس والسادس عشر...

للأستاذ محمد بن شريفة - جامعة محمد الخامس 1993 - ص 14.

(2) عبد الحي الكتاني/ فهرس الفهارس والإثبات/تحقيق : إحسان عباس - دار الغرب الإسلامي - ط 2 - 1402هـ/1982م - ص 987 - 988 وانظر أيضاً حول سقّين بحث محمد بن شريفة بعنوان : مساهمة المغاربة في تأسيس الحركة العلمية. م. س

- أحمد بابا التتبكتي⁽¹⁾ : عالم جليل ذائع الصيت. ولد عام (1063هـ) وتوفي عام (1136هـ). أخذ الحديث عن والده الحاج أحمد المسك بن الحاج أحمد بن عمر بن محمد أقيت، كما أخذ الحديث وغيره عن العلامة محمد بغيج، فقرأ عليه الموطأ والصحيحين. وكان يحدث بحديث الرحمة المسلسل بالأولية وبحديث المصافحة عن والده، ويدرس الصحيحين واختصارهما للقرطبي وموطأ الإمام مالك، والجامع الصغير والمعجزات الكبرى للسيوطي والشمائل للترمذي والشفاء للقاضي عياض وألفية العراقي في الحديث. ولعله كان يجيز في كل ذلك أو جلّه بسنده عن والده الذي حج ولقي جماعة من العلماء منهم الشريف يوسف تلميذ السيوطي.

وقد أخذ عن أحمد بابا جماعة من علماء بلاد المغرب، منهم المقرئ.⁽²⁾

- عمر الولي بن الشيخ محمد عبد الله المحجوبي الولاتي. ترجم له البرتلي ولم يعين تاريخ وفاته ولا مولده، لكنه كان معاصراً للشريف الشاب الذي ذكر أنه كان حياً عام (1045 هـ)، وله مكاتبات معه. وممن أخذ عن عمر الوالي هذا محمد بن المختار بن الأعمش المتوفي عام (1157هـ). فهو إذن من أهل القرن الحادي عشر.⁽³⁾

(1) نسبة إلى تمبكتو. وتكتب غالباً في المصادر القديمة (تتبكت). وهي حاضرة دين وعلم مشهورة في بلاد التكرور، تنتمي تاريخياً واجتماعياً إلى الفضاء الجغرافي الشنقيطي وهي مركز منطقة أزواد التابعة حالياً لجمهورية مالي.

(2) انظر فتح الشكور، م س - ص 29-34.
وانظر أيضاً : الكتاني، م س - ص 113-114.

(3) البرتلي، م ن - ص ص 178-181.

له إجازة في صحيح البخاري بسند متصل.

- الشريف أبو عبد الله محمد بن عبد الله المشهور بمولاي الشريف : عالم معمر من ولاته بشرق موريتانيا حالياً. ولد عام (961هـ) وتوفي عام (1101هـ). يبدو أنه كان من أكابر العلماء ورجال الحديث. ويكفي دليلاً على ذلك أنه شيخ ابن سنه الغلافي، فقد أخذ عنه ولزمه طيلة اثنتين وثلاثين سنة، وروى عنه الموطأ بسند متصل من طريق يحيى بن يحيى الليثي.⁽¹⁾ ومن الغريب أن البرتلي لم يترجم له في فتح الشكور.

- عبد الله بن محمد بن حبيب العلوي (ت 1103 هـ). شهرته "القاضي"، وربما ورد اسمه مجرداً أو مقترناً بـ(الحاج). ومن ثم التبس الأمر على محققي فتح الشكور فاعتبرا حفيده سيدي عبد الله (شهرته : ابن رازكة) شخصين نسب أحدهما إلى عبد الله الشنقيطي العلوي ونسب الثاني إلى القاضي العلوي.

كان القاضي عبد الله من أبرز علماء شنقيط — المدينة والقطر. وقد استقر آخر حياته في بلاد القبلة (جنوب موريتانيا حالياً) متفرغاً للقضاء والفتيا والتدريس. حج ولقي عدداً من الإعلام في رحلته. وقد رويت عنه بالسند المتصل بعض كتب الحديث وعلومه مثل صحيح مسلم وألفية العراقي. تكرر ذكره في فتح الشكور ولم يفرد له ترجمة.⁽²⁾

- ابن الأعمش العلوي (أبو عبد الله محمد بن المختار) (ت 1107هـ) يرد اسمه أحياناً مقترناً بسيدي (سيدي محمد) أو بالطالب

(1) الكتاني، م س - ص ص 1073-1075.

(2) انظر : فتح الشكور، م س - ص 194، 195، وانظر أيضاً لنتف من أخباره : الوسيط، م س والحديث وعلماءه في بلاد شنقيط، م س.

(الطالب محمد)، كان من أبرز علماء مدينة شنقيط. وقد حج فلقي عدداً من العلماء. وأحرز إجازات كثيرة. وبه تمر أسانيد كثير من علماء البلاد في مختلف المعارف، وبينها الحديث خاصة، فقد روي صحيح البخاري وتميز فيه بأسانيد متعددة، كما أجاز بالسند المتصل في رواية الموطأ وصحيح مسلم والشفاء والحديث المسلسل بالأولية وألفية العراقي.

تكرر ذكره في (فتح الشكور) في سياق الترجمة لعدد من الآخذين عنه أو المتصلين به سندا. ⁽¹⁾ ولم يفرد له المؤلف ترجمة رغم علو كعبه علما وصيتا.

- محمد بن الحاج عثمان بن السيد بن الطالب صديق الجمافي. ترجم له البرتلي ⁽²⁾ ولم يحدد تاريخ وفاته إلا أنه أخذ عن ابن الأعمش المتوفى عام (1107هـ). وقد أجاز ابن الأعمش في بعض مروياته على اختلافها. ومنها صحيح البخاري وشفاء القاضي عياض.

- سيدي عثمان بن عمر الولي (ت 1128هـ). أخذ عن ابن الأعمش العلوي. وأجاز في العديد من مروياته، وكان بينها صحيح البخاري وصحيح مسلم والموطأ والشفاء وألفية الزين العراقي. ⁽³⁾

- ابن سنة (محمد - العمري الفلاني) : عالم محدث معمر. ولد عام (1042هـ). وتوفي عام (1186هـ). وتلقى العلم في شنقيط وقوات وتمبكتو وأروان وولاته وتشيت. وتتلذذ على أبي عبد الله محمد بن عبد الله الولاتي، ولزمه 32 سنة كما ذكرنا آنفا. قال فيه تلميذه صالح الفلاني

(1) انظر مثلاً الصفحات 193، 116، 75، 61، 40-195

(2) ص ص 116-119.

(3) البرتلي، م ن - ص ص 191-195.

"أحفظ من رأته عيني".⁽¹⁾ ومعلوم أنّ صالحا - كما نبه إلى ذلك الكتاني في فهرسه - قد رأى الحافظ المرتضى الزبيدي مما يؤكد علو شأن ابن سنة.

ومن الغريب ألا نجد ذكرا لهذا العالم الجليل في فتح الشكور.

- سيدي أحمد بن سيدي محمد بن موسى بن إيجل الزبيدي : ترجم له البرتلي في ثلاثة أسطر.⁽²⁾ ولم يذكر تاريخ مولده ولا وفاته. لكنه اعتاد أن يؤرخ في الفشالية لوفيات أعلام بلده. وقد أرخ بحساب الجمل لوفاة الشريف حمى الله بن الشريف أحمد بن الإمام. وكانت عام (1169هـ). ولم نعر له على تاريخ بعد ذلك.

كان مشغلا بالحديث فيما يتبين من خلال تراجم أعلام فتح الشكور، فقد ورد في ترجمة سيدي أحمد الشواف الأوتيدي الواداني أن سيدي أحمد أخذ عنه المصافحة،⁽³⁾ وأنه أخذ الحديث عن سيدي أحمد بن آك السوقي فأجازه في جميع مروياته منه. ومنها صحيح البخاري وصحيح مسلم وكتاب الشفاء والموطأ والخصائص الكبرى والصغرى للسيوطي. كما نقل إجازاته للإمام عمر م بسنده المتصل في صحيح البخاري عن المحدث محمد بن محمد بغيغ التنبكتي، وفي الموطأ والشفاء عن سيدي أحمد (آك) السوقي.⁽⁴⁾

(1) الكتاني، م س - ص ص 1025-1030، وانظر بحث محمد بن شريفة عن سقين، مس - ص 26.

(2) ص 51.

(3) ص 46.

(4) ص 50.

- الإمام عمر م م بن محمد بن أبي بكر الولاتي الأحمدي (ت 1201هـ). قال عنه البرتلي : "جمع الإمامة وقراءة الحديث والتعليم للعربية (...). تعريف في "وجهه النضرة التي تكون في وجوه أهل الحديث". أخذ عن سيدي أحمد بن سيدي محمد بن سيدي محمد بن إيجل الزيدي فأجازه في صحيح البخاري وموطأ مالك وشفاء عياض كل بسند متصل. (1)

- صالح الفلاني (صالح بن محمد بن نوح بن عبد الله بن عمر العمري المسوفي). ولد عام (1166هـ) وتوفي عام (1218هـ). دخل بلاد القبلة (جنوب موريتانيا) فأخذ عن محمد بن بونه، (2) ثم انتقل إلى باغي فلزم بها الشيخ محمد بن سنة ست سنين، قبل أن يرتحل إلى "تمبكتو" حيث أخذ عن الشيخ محمد الزين. وخرج حاجا وأقام بالمدينة مجاورا. له أسانيد عن عدد من العلماء الشناقطة منهم محمد بن عبد الله الولاتي، سالف الذكر (عن طريق خاله عثمان عن والده عبد الله الفلاني)، ومحمد بن المختار بن الأعمش (عن طريق صالح بن محمد عن عبد القادر الفلاني). وأعلى شيوخه إسنادا ابن سنه المذكور آنفا. وعنه تلقى الإجازة الشيخ محمد الحافظ العلوي وأبو زيد عبد الرحمن الشنقيطي دفين فاس.

(1) البرتلي، م ن - ص 186.

(2) كذا بالأصل.. ولا يبعد أن يكون المعني هو المختار بن بونه، فقد كان من أبرز علماء البلاد في تلك الحقبة. ورغم أنه توفي سنة 1220 هـ (أي بعيد وفاة صالح بسنتين) فإنه يكبره سنا إذا صح ما اشتهر عند أهل البلاد من أنه عمّر، فعاش 140 سنة.

جمع صالح أسانيد وإجازات كثيرة من كبار محدثي عصره وعلمائه وأجاز كثيرا. أورده الكتاني فيمن ادعى الاجتهاد أو ادعى له، وكان ممن ادعى له. واعتبره بعضهم مجددا. (1)

- الشيخ محمد الحافظ بن المختار بن حبيب العلوي (ت 1247هـ). عالم متصوف مشهور. له إجازة في الحديث وغيره عن صالح الفلاني. وقد ورد هذا السند في أسانيد الكتاني. واعتبره من الأسانيد الغريبة. (2)

- الشيخ ماء العينين بن الشيخ محمد فاضل القلقمي. ولد عام (1246هـ) وتوفي عام (1328هـ). عالم متصوف مجاهد ذو صيت كبير. عد الكتاني من أسانيده الغريبة سندا تلقاه منه مسلسلا بالأباء إلى السيوطي. (3)

وإذ نقتصر على النماذج السالفة من شيوخ الحديث، المجازين والمجيزين فيه، يتعين علينا التذكير بأسماء أخرى لا تسعفنا مصادرها بمعلومات كافية عنها. فقد أخذ الحافظ المرتضى الزبيدي عن بعض العلماء الشناقطة ذكر الكتاني منهم عمر بن المختار الشنقيطي، (4) وذكر أحمد بن الأمين صاحب الوسيط في تراجم "أدباء شنقيط" عبد الرشيد

(1) انظر عن صالح : فهرس الفهارس، م س - ص ص 901-906. وجي. أو. هنويك/ صالح الفلاني، تعاليم عالم افريقي غربي في المدينة (في : ندوة العلماء الافريقية ومساهماتهم في الحضارة العربية الاسلامية - معهد البحوث والدراسات العربية - بغداد 1405هـ/1985م).

(2) فهرس الفهارس ص 905. وانظر عن الشيخ محمد الحافظ كتب تراجم أعيان التجانيين مثل : كشف الحجاب لسدي أحمد سكيرج. وقد ترجم له تلميذه وخليفته بدي (محمدي) بن سيدينا (سدي عبد الله) في كتاب مستقل بعنوان : نزهة المستمع واللاظف في مناقب الشيخ محمد الحافظ (مخطوط).

(3) فهرس الفهارس - ص 1021. وانظر عنه أيضا : بلاد شنقيط، م س - ص 281.

(4) فهرس الفهارس - ص 535.

الشنقيطي⁽¹⁾. وذكر محمد بن محمد مخلوف في شجرة النور الزكية محمد الشنقيطي "الأخذ عن زروق". وأورد البرتلي في فتح الشكور طائفة كبيرة من أسماء الأعلام الذين اشتغلوا بالحديث، منهم، ممن لم يذكر في القائمة السابقة سيدي أحمد بن أك السوقي، والطالب سيدي أحمد بن البشير الكلسوقي، وأحمد بن خليفة... بن الحاج العلوي وأحمد بن الحاج حمى الله والطالب البشير بن الحاج الهادي الإيدليبي والحاج الحسن بن أغبد الزيدي وابنه سيدي محمد وحرمة بن عبد الجليل العلوي والشيخ حم بن أحمد بن الشيخ السوقي وسنابير ووالده القاضي سيدي الوافي ومحمد بابا بن محمد الأمين... بن المختار التبتكتي وسيدي محمد الأمين... بن البشير السوقي وعبد الله بن أبي بكر بن علي الولاتي وسيدي عبد الله بن محمد بن القاضي العلوي وعبد الله بن الطالب أحمد بن الحاج المصطفى الغلاوي وسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي وغيرهم...

وقد بلغ عدد رجال الحديث والمشتغلين به الذين ذكرهم البرتلي نحو 555 علما، وهو عدد يربو على ربع المترجم لهم عبر الكتاب،⁽²⁾ ويكشف - من هناك - عن المكانة الطيبة التي كانت للحديث وعلومه في البلاد خلال القرون السالفة.

وإنه لما يحز في الذهن أن يعوزنا الحد الأدنى من المعلومات التاريخية عن بعض الرواد الذين اتصلوا بمنابع الرواية في خارج البلاد.

(1) الوسيط - ص 432، عزوا الى كتاب للسيد مرتضى الزبيدي، بخط يده، "يعدد فيه أشياخه ويترجمهم".

(2) لاحظ أن علماء افريقية المترجمين في رياض النفوس للمالكي يبلغ عددهم 270، بينهم 28 محدثا وهي نسبة لا تكاد تتجاوز العشر.

(انظر : العلماء والمعلمون بالمجتمع المغربي في القرون الاسلامية الأولى، لمحمد مهدي المسعودي - جامعة تونس 1 - 1993 - ص 79).

ولسنا نعرف كبير شيء عن الشريف عبد المؤمن والحاج عثمان
الآخذين مباشرة عن القاضي عياض ولا عن محمد الشنقيطي الآخذ عن
زروق.

1) ذكر محمد بن شريفة، عزوا الى أحمد بابا في نيل الابتهاج، أن العاقب الأنصمي لقي السيوطي، (ص 15 من البحث المذكور سابقا). ولم نعثر في طبعة نيل الابتهاج التي بين أيدينا على ذكر لذلك.

وأيا يكن الأمر، فقد تبين أن للشناقطة من العناية بالحديث حظا غير يسير رغم انكبابهم على الفروع ومعارف اللغة وتقديمهم لها غالبا على غيرها وحسبك شاهدا على مدى عنايتهم بالسند كون استدعاءاتهم دفعت بعض أعلام المحدثين إلى وضع فهرس وأثبتات.

فقد وضع عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني كتابه الجليل (فهرس الفهارس والإثبات) إجازة للعلامة الشنقيطي محمد حبيب الله بن مايابي. ومن قبله جمع ثبوتا الشيخ جعفر بن إدريس الكتاني ثبوتا بمرويات شيخه الكبير الكتاني ليجيز به أحمد بن الشمس الشنقيطي دفين المدينة المنورة. (1)

ثالثا- في الدروس والمجالس

لئن اجتنب الشناقطة في غالب شأنهم استخراج الأحكام الشرعية من الحديث النبوي الشريف، فإنهم لم يحجموا مع ذلك عن مطالعته وتدارسه ودراسة مصطلحه وكانوا قديما يعنون بحفظ بعض كتب الحديث وخاصة موطأ الإمام مالك، فقد كان في مدينة "تنيشي" وحدها ثلاثمائة فتاة تحفظ الموطأ. (2) وهو أمر ندرك عمق دلالاته إذا استحضرنا ما ذكر من أن ابن القراف السبتي استظهر بالقاهرة المعزية - موطأ الإمام مالك حفظا من صدره عن ظهر قلب فاحتفل له شيوخ المالكية وضربوا الطبول والبوقات على رأسه إشادة وتبويها. (3)

(1) فهرس الفهارس، ص 481.

(2) بلاد شنقيط، م س - ص 74.

(3) نيل الابتهاج، م س 91.

ويذكر البرتلي عددا من العلماء الذين اهتموا بحفظ كتب الحديث، فقد كان أحمد بن الحاج حمى الله يحفظ الجامع الصغير عن ظهر قلب. وكان الطالب البشير بن الحاج الهادي يحفظ ثلاثة أرباع من صحيح البخاري.

وقد نما في أحضان الحواضر العتيقة (شنقيط - وادان - تمبكتو - ولاته - تشيت) - وانتقل منها إلى البوادي - تقليد عقد مجالس لقراءة الحديث في مواسم ومواقيت معينة. ولعل هذا التقليد انتشر بتأثير تلامذة ابن غازي والآخذين عنهم من لا شناقطة. وانصببت العناية بنحو خاص على صحيح البخاري والشفاء، فقد كانوا يستهلون قراءة الصحيح مع بداية شهر رجب، فيعرضونه حصصا يومية إلى أن يختموه في نهاية شهر رمضان. وكانوا يضيفون إليه من مستهل شهر رمضان كتاب الشفاء، ويختمونه في التاسع والعشرين من الشهر وربما فرغوا من الصحيح في نهاية شهر شعبان ليتفرغوا للشفاء في رمضان. وكانت مجالس الحديث هذه تتعد غالبا بين الظهرين أو بعد العصر. وكان أهل ولاته و"تمبكتو" يعدلون أحيانا إلى قراءة صحيح مسلم.

ويقوم العمل في ذلك علي سرد الحديث سندا ومنتا والاستعانة أحيانا ببعض الشروح لتفسيره. وقد دخلت في تقاليد بعض المناطق في الحقب الأخيرة قراءة حاشية الفشنى على الأربعين النووية، مجلسا أو مجلسين كل ليلة من ليالي رمضان بعد صلاة التراويح.

وكان غالب شأن مجالس الحديث بالنهار أن تتعد بالمسجد، وتختار الجماعة لقراءة الحديث شخصا من أهل العلم والفضل فتكون تلك خطوة سامية يتقلدها فيحرص على حسن أدائها ويعظم شأنه كلما طال عمله فيها. وقد تولى أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت المتوفى سنة (951 هـ)

(وهو والد أحمد بابا التتبتكتي) هذه الخطة زمنا طويلا، فجلس لإسماع البخاري في رجب وتاليه نحو خمس وعشرين سنة، ثم مسلم كذلك.. .. وقد ثقل عليه لسانه وهو يقرأه في شهر شعبان، ⁽¹⁾ ولم يمكث من بعد إلا أياما قليلة فأدركته المنية.

أما عمر بن بابا بن علي بن أند عبد الله الولاتي فقد "ولي الصلاة وخطبة الجمعة وقراءة الحديث فهو الذي يقرأ الحديث، صحيح البخاري وغيره في المسجد". ⁽²⁾ كذلك جمع الإمام عمر مم بن محمد بن أبي بكر الولاتي "الإمامة وقراءة الحديث والتعليم للعربية". ⁽³⁾

وقد حلّى البرتلي عددا من رجال الفتح بمثل هذه الصفات، فسيدي عثمان بن عمر الولي "كان رحمه الله تعالى هو الذي يقرأ الصحيح والشفاء" ⁽⁴⁾ ومحمد بن محمد بن المختار بن الشواف المسلمي "كان رحمة الله تعالى محدثا يسرد صحيح البخاري في شهر رجب وشعبان في المسجد والشفاء للقاضي عياض في رمضان". ⁽⁵⁾ وكان اند غمحمد بن الفقيه المختار النحوي. "مدرسا لكتاب الشفا في رمضان - بعد موت أبيه - في مسجد سنكري". ⁽⁶⁾

(1) م ن - ص 141، 142.

(2) فتح الشكور، م س - ص 183.

(3) م ن - ص 187.

(4) م ن - ص 193.

(5) م ن - ص 131.

(6) م ن - ص 107.

وكان لبعض العلماء حلقات خاصة لتدريس الحديث. من أولئك سيدي محمد بن الحاج الحسن بن آغيد الزيدي الذي كانت "له حلقة كبيرة في تشيت من رجال بالنهار ونساء بالليل يسمع منه الحديث". (1)

وقد أثنى البرتلي على عدد من مترجميه بحضورهم مجالس الحديث، ذلك شأن عبد الله بن وناس السباكي الذي "لا يفوته مجلس البخاري ولا الشفا، ولا حديث قرئ في المسجد أبدا". (2) وسيدي محمد بن أحمد... بن الطالب الحبيب الحرشي الذي كان ملازما "لحضور مجالس البخاري والشفا" (3)، ومحمد بن الحاج أحمد بن اند عبد الله الذي كان "يحضر مجلس صحيح البخاري والشفا في رجب وتالييه دائما" (4)، وغيرهم.

وفي أيام ناصر الدين كان الناس يدرسون صحيح البخاري مع شراحه بعد الظهر في شهر رمضان. (5) ولم يكن يشغلهم عنه أمر مهما عظم، من ذلك أن القاضي عثمان، أحد خلفاء ناصر الدين تخلف والقضاة عن القتال في إحدى معارك حرب "شريبه" لاشتغالهم بقراءة الحديث. (6)

(1) م ن - ص 124.

(2) م ن - ص 168.

(3) م ن - ص 164.

(4) م ن - ص 148.

(5) الشيخ محمد البدالي/ نصوص من التاريخ الموريتاني / تحقيق محمد بن باباه - بيت الحكمة - تونس 1990 - ص 124.

(6) م ن - ص 170، وفي ذلك يقول المختار بن جنكي في نظمه لمغازي ناصر الدين :

وغنمت جيوشه الأموال ولم يجيء عثمان ذا القتالا

شغله حديث خير الخلق مع قضائه صحاب الحق

ولعلمهم كانوا يستفتحون به ويستتصرون، فقد كان الناس يقرؤون صحيح البخاري لذلك، كما كانوا يستشفون به ويتبركون.

وقد بلغ من عنايتهم به أن القاضي عبد الله العلوي ختمه أربعين مرة في موضع واحد. وكان الناس أهل بادية لا يطيلون المكث في مكان واحد. وقد اعتاد الناس أن يمرغوا صبيانهم في ذلك الموقع الذي ختم فيه الصحيح أربعين مرة، ويجلبوا إليه مرضاهم ابتغاء بركته.

وكان من كتب الحديث التي يدرسون، علاوة على الموطأ والصحيحين والشفاء (باعتبار ما فيه من الحديث)، سنن الترمذي ومختصر الصحيحين للقرطبي ومختصر البخاري لابن أبي جمره، والترغيب والترهيب للمنذري والجامع الصغير للسيوطي والشمائل للترمذي، والأربعين النووية ورياض الصالحين وغيرها.

وفي علوم الحديث عني القوم عناية خاصة بألفية الزين العراقي ومنظومة البيقوني، وطلعة الأنوار لسيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي، من علماء البلاد، وغرة الصباح له أيضا.

رابعاً في الروافد

من الطبيعي أن يكون الرافد الإفريقي القيرواني من أهم الروافد المغذية لمدرسة الفقه في بلاد شنقيط، لما نجد في الفقه المالكي من حضور قوي لأعلام مثل سحنون واللمخي والمازري وابن أبي زيد والبرادعي وابن عرفة والأبي والقلقشاني وغيرهم.

وقد ظل تهذيب البرادعي للمدونة زمناً طويلاً أهم مراجع الفقه في البلاد. واحتلت رسالة ابن أبي زيد مكانة خاصة قبل أن ينتشر مختصر خليل وزاحمته من بعد في الدراسة المحضرية.

وفي باب الأسانيد - ورغم ندرة اعتناء الشناقطة بها وبتدوينها - نجد عند ابن الأعمش سنداً إفريقيًا كان يجيز به الآخذين عنه في الفقه. أما الحديث فإن حضور الرافد الإفريقي القيرواني فيه يبدو أقل بروزاً.

فحين ننظر في المتون والكتب المتداولة في البلاد نجد نسخة الموطأ السائدة هي رواية يحيى بن يحيى الليثي. وإذا تجاوزنا الكتب الستة وجدنا القوم يرجعون في مطالعتهم ومدارستهم إلى القرطبي في اختصاره للصحيحين والسيوطي في جامعة الكبير والصغير وخصائصه الكبرى والصغرى، وإلى الباجي في منتقاه وإلى القاضي عياض في الشفاء، وإلى النووي في رياضه وأربعينه.

ونجدهم يعودون في مصطلح الحديث إلى العراقي في ألفيته وابن حجر في نخبته وإلى سيدي محمد بن أبي المحاسن يوسف بن محمد الفاسي في طرفته والبيقوني في منظومته.

وإذا نظرنا في أسانيد الحديث، استطعنا أن نتعرف في أوائل أسانيد الشناقطة على عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب المكي، وأبي إسحاق إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الشافعي المدني، وأبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي وأبي الفتح إبراهيم بن علاء الدين القرشي الشافعي القلقشندي (الآخذ عن ابن حجر) والشيخ جلال الدين السيوطي، والطاهر بن زيان المغربي (الآخذ عن عبد الحق السنباطي عن ابن حجر)، وأبي محمد عبد الحق بن محمد السنباطي نزيل مكة المكرمة، وعامر بن شرف الشبراوي شيخ الشافعية بالديار المصرية، وشيوخ المغرب ابن غازي والمنجور والبناني والتاودي.

وهكذا يتضاءل حضور الرافد الإفريقي القيرواني في مدرسة الحديث الشنقيطية إذا قيس ببقية الروافد : المغربية والأندلسية والمصرية والحجازية.

وتحن واجدون لذلك بعض التفسير، إذا تذكرنا أن الرحلة كانت أهم وسيلة للتواصل بين العلماء الشناقطة وسائر علماء البلاد العربية الإسلامية.

وفي العصور التي ازدهرت فيها الحركة العلمية في بلاد شنقيط، وخصوصا منذ أواخر القرن التاسع الهجري أصبحت قوافل الحجيج تسلك في الغالب الطريق الجنوبي المار ببلاد السودان ومنها إلى مصر، حيث كانت تلك الطريق "مأمونة" كما وصفها الحسن بن الوزان، بينما كانت الطريق الشمالية المارة بالمغرب الأوسط وإفريقية محفوفة بالمخاطر. وذلك ما انتبه إليه الأستاذ محمد بن شريفة فعلى به اختيار سقين للطريق الجنوبي في رحلته للحج.

ومع ذلك كان للمدرسة القيروانية الإفريقية أثرها المشهود في مدرسة الحديث ببلاد شنقيط. وهو أثر نستجليه بالوقوف عند بعض الأعلام، والنظر في تداخل أسانيد أهل إفريقية وأهل بلاد شنقيط.

ولعل من المهم التذكير بتلك البذرة القيروانية المغربية التي آتت أكلها في بلاد شنقيط : دولة جامعة فاتحة وحركة علمية واعدة. ونعني بتلك البذرة اجتماع الأمير الجدالي يحيى بن إبراهيم بقيقه القيروان أبي عمران الفارسي الذي طلب من تلميذه وجاج بن زلوفي السوس أن يبتعث مع ضيفه من يعلم أهل الصحراء شئون دينهم، فكانت بعثة الفقيه عبد الله بن ياسين ومخاض الدولة المرابطية وما تبع ذلك من تنام في الحركة العلمية بالبلاد.

لقد كان أبو عمران إلى تبخره في الفقه المالكي وعلم الكلام (العقيدة الأشعرية) مشغولا أيضا بالحديث. وقد ورد أنه سمع الصحيح عن المحدث أبي ذر الهروي.

كذلك أيضا كان الإمام أبو بكر محمد بن الحسن الحضرمي المرادي القيرواني الذي خلف عبد الله بن ياسين في مهمته العلمية لدى الدولة المرابطية بديار صنهاجة الجنوب.

كان الحضرمي ضليعا في الفقه وعلوم الاعتقادات واللغة العربية وكان إلى ذلك من أهل الحديث، وقد أخذ عن إمام الأندلس وحافظها أبي مروان بن سراج.

وكذلك كان أبنه أبو الحسن علي الآخذ عن والده وعن حافظ الأندلس أبي علي الصدي.

ويبدو أن الإمام الحضرمي لم يغادر إفريقية إلا وقد صار ذا شأن بين علمائها. وربما كان مما يشهد لذلك ما ذكره ابن بسام من مناقضة في مسائل من العلم كانت بينه وبين الشيخ أبي محمد عبد العزيز التونسي. فلما أراد الحضرمي أن يسافر إلى أغمات كتب إلى عبد العزيز يقول :

قل لعبد العزيز يكثر من بعد دي ما شاء منه قليلا وقال
وتشجع ما غبت عنك فإننا قد ضربنا (إذا) ⁽¹⁾ لك الأمثال
(وإذا ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده والنزالا) ⁽²⁾

(1) زيادة اقتضاها تقويم الوزن، فعمل كلمة كهذه سقطت من النص.

(2) انظر ملاحق كتاب السياسة للإمام الحضرمي، م س.

ولقد رأينا أن كثيرا من أسانيد الشناقطة في الحديث تمر بالحافظ بن حجر. وكذلك أسانيد الإفريقيين. بل إن ابن حجر هو نفسه إفريقي الأصل والنشأة حيث إن عائلته من أهل الجريد بجنوب البلاد التونسية اليوم.

وإذا كانت أسانيد عدد من رجال الحديث في بلاد شنقيط تنهي إلى القاضي عياض فإن بعض أسانيد القاضي عياض تعود إلى منبع شنقيط القيرواني، ذلك أن من شيوخه أبا الحجاج يوسف الكلبي الضرير الأخذ عن الإمام الحضرمي.

ومن الطبيعي أن تتداخل وتلتقي أسانيد بعض علماء الحديث من إفريقية وبلاد شنقيط، فيروي هؤلاء وأولئك عن شيخ واحد، كما هي الحال مع الحافظ بن حجر، ومع سقين العاصمي - الذي أخذ عنه - مثلا - خروف التونسي (جار الله أبو عبد الله) المتوفى بفاس عام (966هـ).

ومن هذا القبيل اتفاق سند القاضي عبد الله العلوي في رواية صحيح مسلم وسند الشيخ محمد جمال الدين القيرواني في رواية صحيح البخاري فكلاهما يرويان عن عامر الشبراوي عن سالم السنهوري عن نجم الدين الغيطي عن زكرياء الأنصاري صاحب ابن حجر بسنده. ⁽¹⁾

كذلك يتفق في الرجال المذكورين أنفا سند شمس الدين محمد بن المفتي الشهاب أحمد بن حموده... بن الخوجة التونسي (ت 1279هـ)، وسند القاضي عبد الله الشنقيطي في رواية كل منهما لألفية زين الدين العراقي، إلا أننا نجد عبد الله الشبراوي في سند بن الخوجة بدلا من عامر الشبراوي في سند القاضي عبد الله. ⁽²⁾ والأوجه أن يكون الأخذ عن سالم

(1) انظر : فتح الشكور - ص 194، وفهرس الفهارس - ص 216.

(2) انظر : فتح الشكور - ص 195، وفهرس الفهارس - ص 383.

السنهوري عامر - كما يتضح من السند السابق - لا عبد الله (ابن محمد بن عامر ابن شرف) الذي ولد سنة (1092هـ) وتوفي سنة (1171هـ).
والحال أن السنهوري ولد عام (945هـ) وتوفي عام (1015هـ)، وأن الحاج عبد الله الآخذ عن عامر بن شرف متوفى عام (1103هـ).

ونجد بعض شيوخ إفريقية في أسانيد بعض الشناقطة ففي سند صالح الفلاني مثلاً نجد الوادي آشي. ومعلوم أن صالحاً أخذ عنه علماء شناقطة كما أخذ هو عن بعض علماء الديار التونسية خلال مروره بها حاجاً. ومن هؤلاء الغرياني والكواشي والسوسي. (1)

ولمفتي الديار التونسية الشيخ إبراهيم الرياحي سند شنقيطي في إجازة له عن ابن التهامي عن عبد الله الجنكي الصحراوي عن والده عبد الودود الجنكي عن أبي العباس الخطاط. قال عبد الحي الكتاني تعليقا على هذه الإجازة: انظر كيف أهمل صاحب تعطير النواحي "سياق مثل هذه الإجازة الفاتكة"! (2)

خامسا - مصنفات الشناقطة

دون الشناقطة عشرات المؤلفات في الحديث وعلومه. وقد أورد أخونا محمد الحافظ بن المجتني في رسالة جامعية أبرز آثارهم الباقية في هذا المجال، فأحصى نحو 36 أثراً لـ 25 مؤلفاً. وكان العلامة المختار بن حامد رحمه الله أول من عني برصد الحصاد الثقافي للمؤلفين الشناقطة،

(1) فهرس الفهارس - ص 903.

(2) م ن ص 438.

فأورد - فيما أورد - قائمة بأبرز مؤلفاتهم في الحديث وعلومه، ⁽¹⁾ وإلى أعماله يعود جل الباحثين في هذا المجال.

ومما وقفنا عليه لهما ولغيرهما نورد فيما يلي قائمة ببعض المؤلفين الشناقطة ومؤلفاتهم في الحديث وعلومه :

أحمد بن حبيب اليدمسي (ت 1392 هـ)

- أربعون حديثاً في الأدعية المأثورة

أحمد بن دهاه العلوي (ت 1361 هـ)

- إتحاف ذوي الرسوخ في الناسخ والمنسوخ من الحديث (نظم)

- فرائد المنح (شرح ألفة السيوطي في المصطلح)

- مكنون الدرر (نظم في رواية الحديث)

أحمد بن زياد الديماني (ت 1322 هـ)

- تعليق على مختصر ابن أبي جمرة للبخاري

بداه (محمد بن محمد) بن البوصيري التندغي (معاصر)

- اختصار كتاب الاعتبار في الناسخ والمنسوخ من الآثار للحازمي

- مبادئ الرسوخ في علم الناسخ والمنسوخ

بيدر بن الإمام الجكني :

- نظم ألقاب الحديث

(1) حياة موريتانيا، م س - ص ص 48-50.

الحسن بن آغبد الداودي الزيدي (ت 1123 هـ) :

- روضة الأزهار (نظم لنخبة الفكر للحافظ ابن حجر)

- قرّة الأبصار في شرح روضة الأزهار

- نظم في ضبط المشتبه من أسماء رجال الصحيحين

سيدي عبد الله بن أحمد دام الحسني (ت 1321 هـ) :

- نظم في أئمة الحديث

سيدي عبد الله بن الحاج إبراهيم العلوي (ت 1233 هـ) :

- طلعة الأنوار (نظم في مصطلح الحديث يلخص ألفية العرافي)

- هدى الأبرار على طلعة الأنوار (شرح للنظم السابق)

- غرة الصباح (نظم في شرط البخاري واصطلاحه ومقارنة صحيحة بصحيح مسلم)

- نيل النجاح على غرة الصباح (شرح للنظام السابق)

سيدي محمد (سيداتي) بن بابا عينينا (ت 1378 هـ) :

- مصباح الساري (نظم في مصطلح الحديث)

عبد الله بن ابييه الديماني (ت 1328 هـ) :

- شرح ألفية العرافي

عبد الله بن الحاج حمّاه الله الغلاوي (ت 1259 هـ) :

- تعليق علي صحيح البخاري

الشيخ ماء العينين القلقمي (ت 1328هـ) :

- اللؤلؤ المكنوز في الحديث المحوز

الشيخ محمد أحمد بن الرباني التندغي :

- منظومة في مصطلح الحديث

الشيخ محمد الحافظ العلوي (ت 1245هـ) :

- تعليق على ألفية السيوطي في الحديث

الشيخ محمد المامي الشمشوي الباركي (ت 1282هـ) :

- منظومة في مصطلح الحديث

الطالب محمد بن أبي بكر الصديق البرتلي (ت 1219هـ) :

- فتح الرب المغيـث بشرح نظم ألقاب الحديث

(مخطوط محفوظ في مركز أحمد بابا بتمبكتو)

محمد بن أبي مدين (ت 1396هـ) :

- الصوارم والأسنة في الذب عن أهل السنة

- شرح على ألفية العراقي في الحديث

محمد الأمين بن باريك العلوشي (ت 1391 هـ) :

- منظومة في مصطلح الحديث وشرحها

محمد سالم بن آما (1384هـ)

- نفي الجهل والعمى في تعقب السيوطي على ابن الجوزي
(في الموضوعات)

- لوامع الأنوار السنية في صحاح الأذكار السنية

محمد حبيب الله بن ماياتي الجكني (ت 1363هـ) :

- زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم

- فتح المنعم (شرح زاد المسلم)

- فتح القدير المالك في شرح موطأ مالك

- دليل السالك إلى موطأ الإمام مالك (نظم في نحو ألف بيت)

- تبیین المدارك (شرح دليل السالك)

- إضاءة الحالك (اختصار شرحه : تبیین المدارك)

- 45 حديثاً من رواية مالك عن نافع عن ابن عمر

- هدية المغيـث في أمراء المؤمنين في الحديث (منظومة وشرحها)

- كمال المنة في اتصال المصافحة المدخلة للجنة

محمد بن الداه (محمد عبد الله بن محمد المختار) العلوي (ت 1373هـ)

- نبراس السنة للمستضي بضياء السنة (نظم من 1544 بيت في

غريب الحديث)

- جامع في الحديث

- منة المنان (الحديث)

محمد سالم بن الشين (ت 1387هـ) :

- نظم في ألقاب الحديث

محمد عالي (باباه) بن فتى العلوي (ت 1394هـ) :

- شرح على منظومة مصطلح الحديث للقاضي محمد بن محمد

فال التندغي

محمد عبد الله بن القاضي الطالب بن محمد بن اندوز المحجوبي

(ت 1225هـ) :

- شرح الأربعين النووي

- شرح مختصر ابن أبي جمرة

محمد بن عبد الله بن محمد المختار بن محمد يحيى الولائي :

- منظومة في ناسخ ومنسوخ السنة

محمد فال (ببها) بن محمد بن أحمد بن العاقل الديماني

(ت 1334هـ) :

- الصحابة ومرياتهم من الحديث

- الصحابييات ومروياتهن من الحديث

محمد مبارك اللمتوني (ت 1293هـ) :

- نظم مطول (أكثر من ألفي بيت) في مصطلح الحديث

- منظومة وجيزة في ألقاب الحديث

محمد بن محمد سالم المجلسي (ت 1352هـ) :

- النهر الجاري في شرح صحيح البخاري (مخطوط في
7 مجلدات)

محمد محمود بن الشيخ سعدبوه (شهر بـ : اباه بن مولاي هاشم
الشريف) - (ت 1396هـ) :

- منظومة في الناسخ والمنسوخ من الحديث

محمد محمود بن عبد الفتاح الأبييري :

- منظومة في مصطلح الحديث

محمد مولود بن أحمد فال اليعقوبي (1323هـ) :

- إنارة الأفكار والأبصار بشواهد النحو من الأخبار والآثار
(نشر في المغرب عام 1995 بتحقيق الأستاذ عبد الله بن خيار)

محمد بن الشيخ حبيب الرحمن التندغي (1386هـ) :

- منظومة في مصطلح الحديث

محمد بن (القاضي يحيى) بن محمد فال بن أحمد فال التندغي
(ت 1455هـ) :

- منظومة في مصطلح الحديث ورواته

- قيد الشوارد (نظم في غريب القرآن والحديث واللغة)

محمد يحيى بن سليمة اليونسي (1354هـ) :

- اختصار صحيح البخاري

- اختصار موطأ الإمام مالك (مطول وموجز)

- اختصار إيقاظ الوسنان في العمل بالحديث والقرآن للسنوسي

- منظومة في مصطلح الحديث

محمد يحيى بن محمد المختار الولاتي (1335هـ) :

- نور الحق الصبيح شرح الجامع الصحيح

(توجد منه نسخة خطية بالأرشفة الوطنية التونسي)

- اختصار موطأ الإمام مالك

- شرح اختصار ابن أبي جمرة على البخاري

- مهيع الرشد والصواب في مصطلح الحديث

محمدين بن أحمد الديماني (ت 1358هـ) :

- جالية الفلاح (ألفية في مصطلح الحديث نظم تقريب النووي)

- ثلاثيات البخاري

محمدين فال بن متالي التندغي (ت 1287هـ) :

- شرح الأربعين النووية

سند سيدي أحمد الشواف بن حبيب الله بن أحمد

بن حبيب الله بن الأوتيدي الواداني الحاجي

في المصافحة والمشابكة

أخذ المصافحة والمشابكة مسلسلة عن شيخه أحمد بن محمد بن خالد

الجرسيفي قائلاً : كما صافحني وشابكني وأضافني بالأسودين الماء والتمر

شيخنا المرابط الخير والكوكب المنير سيدي أحمد بن أبي القاسم بن سيدي عبد الله الجرسيفي، قال : صافحني وشابكني وأضافني سيدي سعيد بن عبد الله التلملي، قال : صافحني وشابكني وأضافني شيخنا الفقيه الإمام الخطيب سيدي عبد الرحمان بن محمد التلمساني نزيل تارودانت قاعدة سوس الأقصى. قال : صافحني وشابكني وأضافني سيدنا الإمام القدوة المقدس أبو الفضل يحيى بن عبد الله بن سعيد بن عبد المنعم الحاحي المناني، قال : صافحني وشابكني وأضافني الولي الصالح المحدث الرحال أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد بن أذفل السوساني ثمّ الدرعي، قال : صافحني وشابكني وأضافني أستاذي مولانا محمد بن مولانا محمد البكري الصديقي القطب بن القطب، وهو رحمه الله تعالى صافحه والده، وهو صافحه شيخ الإسلام زكرياء الأنصاري المصري. قال شيخ الإسلام: صافحني الشريف أبو الطاهر الربعي، قال : صافحني أبو إسحاق القفصي، وأنا في الربعة، قال : صافحني أبو الجد القريني، قال : صافحني أبو محمد عبد الملك بن محمد بن عبد الكريم البغوي، قال : صافحني أبو القاسم عبد بن حميد بن عبدان المنحي بخلب، قال صافحني خلف بن تميم، قال دخلنا على أبي هريرة رضي الله عنه نعوذه، فصافحني وقال : صافحت بكفي هذه النبي صلى الله عليه وسلم تسليماً. فبينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم عشرون شيخاً فيهم صحابيان.

(فتح الشكور 45، 46)

سند الفقيه اند غمحمند بن الفقيه الأثري محمد بن (أحمد) التازختي في موطأ مالك قال أخبرني به الأخ في الله شرف الدين أبو محمد عبد الحق بن محمد السنباطي، قال أخبرني أبو الحسن علي بن الفخر بن عثمان بن محمد البارنباري، قال أخبرني شمس الدين محمد بن عبد

الرحمان السخاوي، قال أخبرنا به أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البكري المالكي، قال أخبرني به شرف الدين أحمد بن عبد الرحمان بن عساكر البغدادي المالكي سماعا، قال أخبرني به والدي عبد الرحمان سماعا وإجازة مقرونة بالمناولة، قال أخبرني به أبو عبد الله أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الله الخولاني إننا، قال أخبرنا الفقيه أبو الوليد يونس بن عبد مغيث الصفار، قال أخبرني أبو عمرو عثمان بن أحمد بن محمد بن يوسف اللخمي المعافري عرف بالقسطلبي، قال : أخبرني أبو عيسى يحيى بن عبيد الله بن يحيى الليثي، قال أخبرني به الإمام الحجة أبو عبد الله نجم الدين مالك بن أنس الأصبحي رضي الله عنهم وأرضاهم.

سند الشريف المعمر أبي عبد الله

محمد الولاتي في موطأ مالك

قال صالح الفلاني مسندا إليه بواسطة :

"وهو (يعني الشريف الولاتي) قرأه كذلك على الشيخ الاسلام وصدر الأئمة الأعلام أبي عثمان سعيد بن ابراهيم الجزائري مفتيها عرف بقدره وهو قرأه كذلك على قدوة الأئمة، وسند الأمة أبي عثمان سعيد بن أحمد المقرئ المفتي بتمسان ستين سنة وهو قرأه كذلك على أبي زيد عبد الرحمن بن علي بن أحمد العاصمي الشهير بسقين السفيناني قراءة على ولي الله أبي العباس أحمد بن أحمد البرنوسي المعروف بزروق الحفيد وهو قرأه، كذلك على العلم النائر والمثل السائر أبي عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد وهو قرأ كذلك على أبي عبد الله محمد بن جابر الوادي أشي قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي وهو آخر من حدث عنه حدثنا القاضي أبو العباس أحمد بن يزيد القرطبي وهو آخر من حدث عنه حدثنا محمد بن فرج مولى ابن الطلاع القرطبي

مؤلف كتاب أقضية رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو آخر من حدث عنه حديثنا أبو عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى بن يحيى القرطبي وهو آخر من حدث عنه حديثنا عن أبي مروان عبد الله وهو آخر من حدث عنه أبيه يحيى الليثي وهو آخر من حدث عنه إمام دار الهجرة وهو آخر من حدث عنه". عن قطف الثمر لصالح بن محمد الفلاني.

سند ابن الأعمش موطأ مالك

"عن عالم المدينة المنورة أبي إسحاق بن حسن بن شهاب الدين أحمد محمد المدني، عن شمس الدين محمد بن أحمد الدهني، عن الشيخ الإسلام زكرياء، عن التقي بن قهو (كذا) عن الفقيه أبي محمد عبد الله بن محمد بن هارون الطائي القرطبي، عن القاضي أبي القاسم أحمد بن يزيد بن أحمد بن بقي، عن أبي عبد الله محمد بن الفرج موسى ابن الطلاع، عن القاضي أبي الوليد يونس بن عبد الله بن مغيث الصفار، عن أبي عيسى يحيى بن عبد الله بن يحيى، عن ابنه يحيى بن يحيى الليثي الأندلسي، عن الإمام مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي رحمه الله تعالى سماعا ماخلا الأبواب الثلاثة آخر الاعتكاف، شك في سماعها عن زياد بن عبد الرحمن عن الإمام مالك رحمة الله تعالى.

(فتح الشكور: 194، 195)

سندان لأبي العباس أحمد بن الفقيه الأمين

ابن أبي بكر في صحيح البخاري

عن والده الفقيه الأمين المذكور، قال أخبرني به شيخنا الإمام العلامة جلال الدين عبد الرحمان بن الشيخ كمال الدين السيوطي الشافعي إجازة، قال أخبرني بجميع صحيح البخاري الشيخان المسندان جلال الدين

عبد الرحمان بن أحمد القمصي، ومحب الدين محمد بن أبي الحسن عن الحلبي بقراءتي على الأول من أوله إلى كتاب البيوع، وعلى الثاني من كتاب البيوع إلى آخر الصحيح. قال أخبرنا به أبو الحسين بن أبي المجد الدمشقي، قال أخبرتنا به وزيرة ابنة أسعد التوحي، قالت أخبرنا به أبو الحسن الداودي، قال أخبرنا به أبو محمد السرخي قال، قال أخبرنا به أبو عبد الله الفربري، قال حدثنا البخاري رضي الله عنهم وأرضاهم.

وعن الفقيه محمد صالح،

عن الطاهر بن زيان المغربي، عن عبد الحق السنباطي عن الإمام ابن حجر، عن الحموي، عن الحجار، عن الزبيدي، عن السرخي، عن الفربري عن الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، رضي الله عنهم وأرضاهم.

(فتح الشكور: 188)

سند الفقيه اندغمحمد بن الفقيه محمد بن
أحمد الثري التازختي في صحيح البخاري

عن شيخ الإسلام قاضي الجماعة جمال الدين أبي الفتح إبراهيم بن علاء الدين أبي الفضل القرشي الشافعي القلقشندي عن الحافظ الإمام أحمد بن علي بن حجر، عن أبي علي محمد بن أحمد بن عبد العزيز المهدي إنا مشافهة، عن الامام يحيى بن محمد بن سعد، عن جعفر بن علي الهمداني، عن عبد الله بن عبد الرحمان الديباجي إجازة، عن عبد الله بن محمد بن علي الباهلي، عن الحافظ أبي علي الحسن بن محمد الجيلاني الغاني، عن أبي عمر أحمد بن يحيى الحذاء

سماعاً، وأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر إجازة. قال أنبأنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن أسد الجهيني، عن أبي علي سعيد بن عثمان بن سعيد بن السبكي، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف بن مطر الفربري قال، أنبأنا مؤلفه الإمام محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي رحمه الله تعالى ونفعنا به آمين.

سند الطالب محمد بن الختار بن الاعمش العلوي

في صحيح البخاري

قال : رويته بأسانيد متعددة، أعلاها إجازتي من الشيخ الإمام عالم المدينة النبوية، على ساكنها أفضل الصلاة وأزكى السلام، الشيخ المحقق المجاور أبي إسحاق إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين الكردي الكوراني الشهرزوري نفعنا الله تعالى ببركته وقال ومن خطه نقلت، قال حدثنا شيخنا الإمام صفى الدين أحمد بن محمد المدني، قدس الله تعالى روحه، عن شيخه أبي المواهب أحمد بن محمد المدني، قدس الله تعالى سرّه، عن القطب محمد بن العلاء أحمد النهروالي ثم المكي، عن والده العلاء أحمد بن محمد، عن زين الحفاظ أبي الفتوح أحمد بن عبد الله الطاوسي، عن المعمر أبي يوسف الهروي المشهور بسيف دسالة عن المعمر أبي عبد الرحمان محمد بن شاذنبت الفرغاني، عن المعمر أبي لقمان يحيى بن عمار الختلان، عن أبي عبد الله محمد بن يوسف العديدي (1) عن الإمام الحجة أمير المؤمنين محمد بن إسماعيل البخاري رحمهم الله تعالى. قال الشيخ أبو إسحاق المذكور رحمه الله تعالى : فنقع لنا ثلاثيات البخاري وهي أعلى ما فيه بثلاثة عشر واسطة بيننا وبين النبي

صلى الله عليه وسلم ن وهذا أعلى ما يؤخذ في زماننا لأمثالنا، والحمد لله رب العالمين.

سند ابن الأعمش في صحيح مسلم

قال كما قرأته على شيخنا الفقيه محمد (1) السحطي، عن الشيخ الإمام رئيس العلماء الشافعية بالديار المصرية عامر بن شرف الشراوي قراءة لبعضه وإجازة لباقيه، عن شيخ الإسلام نجم الدين الغيطي، عن شيخ الإسلام زكريا بن أحمد رحمه الله تعالى الأنصاري، عن أبي النعيم رضوان بن محمد بن يوسف النقي، عن أبي الطاهر الربيعي، عن الزين عبد الرحمان بن عبد الهادي، عن أبي العباس أحمد بن عبد الدايم المقدسي، عن الموصي أبي الحسن العابد بن محمد بن علي الطوسي، عن فقيه الحرم أبي عبدا الله محمد بن الفضل بن أحمد الفراوي، عن أبي الحسن عبد الغافر الفارسي النيسابوري، عن أبي أحمد محمد بن عيسى بن عمرويه الحلوزي عن أبي إسحاق إبراهيم بن محمد بن سفيان الزاهد، عن مؤلفه الإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري رحمه الله تعالى.

1- كذا بالأصل. ولعل الصواب : أبي محمد، أي القاضي عبد الله

العلوي

سند الفقيه الحاج أحمد المسك التنبكتي

في كتاب الشفا

عن الشيخ محمد بن عبد الرحمان الخطاب، عن شيخه الخطيب، عن أبي العباس أحمد بن محمد، عن المسندة زينب بنت الكمال القدسية،

عن أبي الحسن بن هبة الله اللخمي المعروف بابن بنت الحيمر. قال
أخبرني به أبو طاهر السلفي، عن مؤلفه الإمام القاضي أبي الفضل
عياض بن موسى بن عياض اليحصبي رحمه الله تعالى.

سند القاضي محمد بن أحمد بن الفقيه عبد الرحمان بن
أبي بكر بن الحاج في كتاب الشفا

قال : أخبرني به يحيى بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب، عن
شيخه بركات بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن الخطاب، قائلًا :
أخبرني به السيد الوالد قائلًا :

أخبرني به والدي قراءة بجميعة، قال : أخبرني به محمد الناصر
الدين المراغي الفضل جعفر بن علي الهمداني، قال : أخبرني به أبو
طاهر السلفي، قال :

أخبرني مؤلفه أبو الفضل القاضي عياض رحم الله تعالى الجميع
ونفعنا بهم آمين.

سند ابن الأعمش العلوي
في كتاب الشفا

عن السيد الفقيه النبيه الحاج عبد الله بن محمد بن أحمد بن عيسى
المغربي، رحمه الله تعالى، عن الإمام الحافظ الجليل ذي التصانيف
العجيبة أبي عبد الله محمد بن محمد بن أبي بكر الدلائي، عن والده عن
الإمام محمد بن قاسم بن محمد بن علي القيسي الغرناطي الشهير
بالقصار، عن الغزي، عن شيخ الإسلام زكرياء بن محمد ابن أحمد
الأنصاري المصري، عن ابن الفرات، عن الدلامي عن ابن تاميت، عن
ابن الصائغ، عن مؤلفه الإمام القاضي عياض رحمهم الله.

سند ابن الأعمش في ألفية العراقي

عن الفقيه القاضي الحاج عبد الله عن الشبراوي عن السنهوري عن نجم الدين محمد بن أحمد الغيطي عن شيخ الاسلام زكرياء بن أحمد الشارح لها عن الحافظ ابن حجر عن مؤلفها رحمه الله تعالى.

(فتح الشكور 195)

سند شنقيطي مسلسل بالآباء

"الشيخ العارف محمد مصطفى ماء العينين الشنقيطي دفين تزنيته رحمه الله ونعمه عن أبيه الشيخ محمد فاضل عن أبيه مامين عن أبيه الطالب خيار عن أبيه الطالب محمد أبي الأنوار عن والده الجيه المختار عن والده محمد الحبيب عن أبيه محمد علي عن أبيه سيدي محمد عن أبيه يحي الصغير عن أبيه محمد عن شيخه الشيخ العلي عن الحافظ الأسيوطي بأسانيده.

